سلسلة مطويات شبكة بينونة

المسلم مع الأوبئة والأمراض

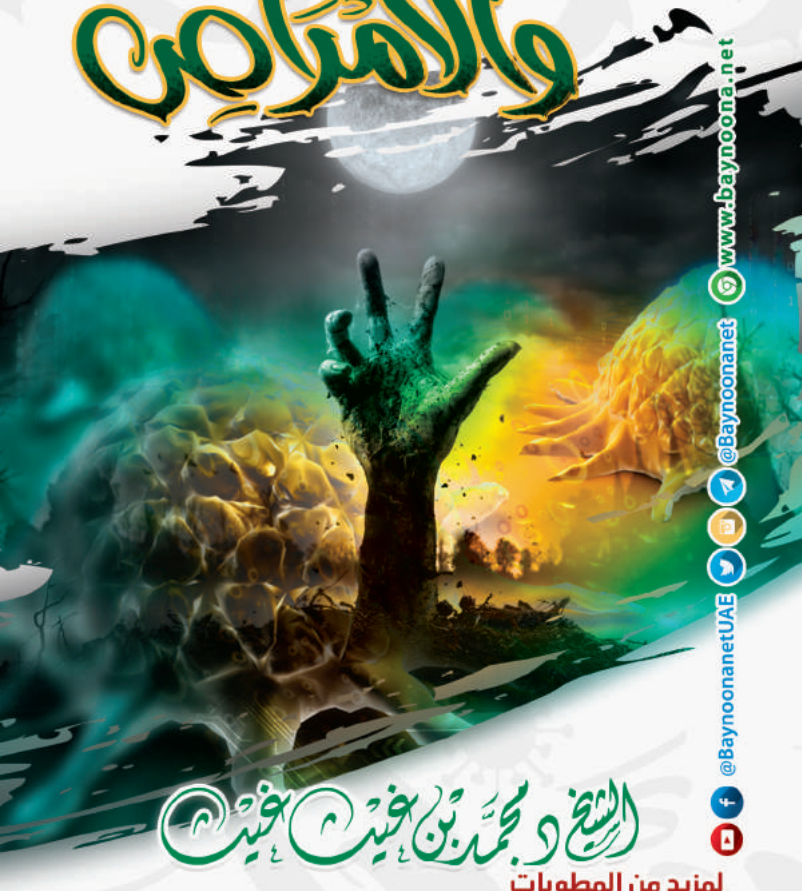

الشيخ د. محمد بن هيثم هيثم

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
لمزيد من المطويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، الحمد لله الملك الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، يدبر الأمر، يفصِّل الآيات، ويقدِّر الأقدار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم يقلب الليل والنهار، بيده الخير، وكل شيءٍ عنده بمقدار، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله النبي المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار، وعلى صحبه الغر الميامين الأخيار.

أما بعد ..

فاتقوا الله ربكم، واعلموا أن أعمالكم تُحصى عليكم، وأن الدنيا متاعٌ قليل، وأن المقام فيها معدود، وأن الأجل محدود، وأن القدر محتوم، وأن الرزق مقسوم، وأن ما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وأن المردّ إلى الله، وأن الخاسر من تبع هواه، وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأنّ السعيد من وُعِظَ بغيره.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم].

في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بِسَرْغَ وهي قريةٌ في طرف الشام مما يلي الحجاز لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه؛ خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض

الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تُقْدِمَهُم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ لي الأنصار، خالف دعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني.

طائفة نظرت إلى جانب التوكل والتسليم للقضاء. وطائفةٌ نظرت إلى الاحتياط الحذر، ومجانبة أسباب الإلقاء باليد إلى التهلكة.

ثم قال ﷺ: ادعُ لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، قال: فدعوتهم، فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مُصَبِحٌ على ظهرٍ فأصبحوا عليه؛ أي سأركب رحلي، وسأرجع، فارجعوا معي.

فقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ وهو إذ ذاك أمير الشام: أفرارًا من قدر الله؟؛ أي أترجع فرارًا من قدر الله!.

وفي رواية: وقالت طائفةٍ ومنهم أبو عبيدة: أمن الموت نفر؟ إنما نحن بقدرٍ لن يصيبنا ما كتب الله لنا، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم، نفر من قدر الله، إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبلٌ هبطت واديًا له عدوتان، (والعُدْوَةُ: جانب الوادي) إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء

عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا في بعض حاجاته، فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُم بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْه، وَإِذَا وَقَع بِأَرْضٍ وَأَنْتُم بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْه» [1] قال: فحمد الله عمر ثم انصرف -رَضِيَ الله عَنْهُ وأرضاه-».

وهذه القصة مشتملةٌ على فوائد عظيمة:

- **من أهمها:** عِظَم فقه الفاروق عمر ﷺ، وعِظَم مراعاته لجانب مصلحة رعيته، والمحافظة عليهم، وإبعادهم عما يضرهم.
- **ومن الفوائد:** أن الاحتياط، وتغليب جانب الحذر، وأخذ التدابير الوقائية عند انتشار الأوبئة، ليس فرارًا من قدر الله، فالقدر واقعٌ ليس له دافع، وإنما الأمر أخذٌ بالأسباب التي أمر الله بالأخذ بها، ونهى عن تركها، وهي من تقدير الله تعالى.
- **ومن الفوائد:** أن المشاورة من أسباب التوفيق للحق والهداية، وأن الآراء إذا اجتمعت كانت حريةً بالسداد.
- **ومن الفوائد:** أن على الرعية طاعة ولاة أمرهم، ولزوم جماعتهم، وعدم المخالفة والتخلف عنهم، فالناس الذين كانوا مع عمر ﷺ وَ ﷺ كلهم رجعوا معه، وأخذوا بقوله، وإن كان قد خالفه الرأي عند المشورة.
- **ومن الفوائد:** أن الوباء لا يُقدَم عليه، كما أن المصاب أو من يُشك في إصابته تحرزًا لا يجوز له أن يَرِدَ على الأصحاء، وينشر في الناس البلاء، ومن هذا الباب جاء الحجر الصحي عملًا بهذا التوجيه النبوي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠/٧) برقم: (٥٧٢٩) ومسلم في صحيحه (١٧٤٠/٤) برقم: (٢٢١٩)

ولأجل هذه المقاصد الشرعية العظيمة اتخذت دولتنا المباركة سائر التدابير الممكنة، والإجراءات الصحية المتعددة للحد من انتشار الوباء، والعمل بأسباب السلامة، فعلى الجميع أن يكونوا على قدر المسؤولية، ويلزموا التوجيهات المرعية، ويعملوا بالأسباب الوقائية، ثم يشكروا ربهم على نعمة الولاية الصالحة، ويتفكروا في عِظَم الجهود المبذولة، والإمكانات المسخرة، والطواقم العاملة.

كما أن على الجميع ألا ينسوا التحصينات الدينية، والأوراد والأذكار الشرعية النبوية، فهي من أعظم أسباب دفع البلاء، وفيها توحيدٌ واعتصامٌ برب الأرض والسماء.

فنسأل الله ﷻ أن يحفظنا والمسلمين بحفظه، ويقينا شرور المحن والبلايا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإن من الغفلة بمكان أن يشاهد الإنسان العالم يغلي مِن حوله، والبلايا تترادف على العباد، وهو لا يتحرك له جفن، ولا يشعر بأدنى مسؤولية، حدودٌ أُغلِقَت، وتجاراتٌ تعطّلت، وأماكن حُظِرَت، وحريات قُيِّدَت، وأسفارٌ مُنِعَت، وتحذيراتٌ أُطلِقت، واحتياطاتٌ اتُّخِذَت، وأعمالٌ تَعثَّرت، وأموالٌ طائلةٌ أُنفِقَت، وتعليمٌ توقف، وطواقم طبية، وأخرى عسكريةٌ تواجه الأخطار، وفئامٌ من أهل المسؤولية لا يقر لهم قرار، والبعض في غفلة وكأنه في إجازةٍ وفسحة.

الوباء أيها الناس قرين الغلاء، والبلاء ليس ميدانًا للسخرية، ولا مجالًا للشماتة، بل دعوةٌ للتوبة والإنابة، والرجوع إلى الله، والتضرع والاستكانة، وقد عاب الله

على من لم يتضرّع عند نزول العذاب، ولم يرجع إليه عند البلايا الصعاب.

فقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦]،

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٨].

البلاء أيها المسلمون لا يكشفه إلا القاهر فوق عباده، اللطيف الخبير بخلقه، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس:١٠٧]، فارجعوا إلى ربكم، وأنيبوا إلى مولاكم، واقرعوا باب رحمته بملازمة الدعاء، واستكينوا لديه بالتضرع والبكاء، والتزموا ما يقال لكم، والزموا جماعتكم، فالجماعة رحمة، والأمر ليس بالهين، والخبر ليس كالمعاينة، والاستهانة ندامة، والحذر سلامة.

فاللهم احفظنا واحفظ بلادنا والمسلمين بحفظك، اللهم احفظ بلادنا والمسلمين بحفظك.

اللهم ادفع عنا الوباء والبلاء والمحن والأهواء.

اللهم احفظ بلادنا والمسلمين، اللهم ارفع عنا الضر وعن المسلمين، اللهم لا يكشف الضر إلا أنت، ولا يرفع البلاء غيرك، اللهم بك نستجير، وإليك نلجأ، وعليك نتوكل.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وعلى صحابته أجمعين، وعلى التابعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

❋ ❋ ❋